Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 15-16:4 (1980-81

المصادر الاسلامية لداروين
فــــــى
نظريته عن أصل الانواع والتطور

محمد حميد الله

ما أجمل الدعاء الذى علّمه القرآن المسلمين (٢٠ / ١١٤) : ,,وقل رب زدنى علما،،. ثم خص من بين العلوم التفكر فى خلق الكائنات ، فقال (٣ /١٩٠ ـ ١٩١) ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض . . . . . ،، والذى يشتغل بهذا الفرض الكفائى يتصادف بادئ ذى بدء قسمين من الآيات :

(١) ما يؤكد الخلق فى الفور : ,,وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر،، (٥٤ / ٥٠) انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن ، فيكون (١٦ /٤٠ ومرات بمعناه).

(٢) ما يدل على التدريج : ,,خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ،، (٢٥ / ٥٩ ومرّات بمعناه) ، ,,خلق الأرض فى يومين . . . وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام . فقضا هن سبع سموات فى يومين . . . ،، (٤١ / ٩ ـ ١٢).

ولكن ليس بين هذين القسمين أيّ تضاد ، فالواحد يذكر كمال قدرة الله ، والآخر يشير إلى مشية الله وكيفية تحققها . أما المراد باليوم فى

تاريخ الخلق ، فيمكن أن نستنبطه مما يلى :

- ,,سخّرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما،، (٦٩ / ٧) هو يوم اثنتى عشرة ساعة.
- ,,ألاّ تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا،، (٣ / ١٤١) ، وهو يوم أربع وعشرين ساعة.
- ,,وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ،، (٢٢ / ٤٧) ، وهو يوم كألف سنة.
- ,, ... فى يوم كان مقدراره خمسين ألف سنة،، (٧٠ / ٤) وهو كما يقول كخمسين ألف سنة.

وكل هذا ليس على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل ، فيجوز يوم كمليا رات السنين ، وما نسميها سنة الضوء.

ثم فصّل القرآن فى خلق الكائنات تفاصيل أخرى أيضا ، فقال :

★ ,,ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض . . . . ،، (٤١ / ١١)

★ ,,أن السموات والأرض كانتا رتقا ، ففتقنا هما . وجعلنا من الماء كل شىء حىّ،، (٢١ / ٣٠).

★ ,,والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ، ومنهم من يمشى على رجلين ، و منهم من يمشى على أربع،، (٢٤ / ٤٥).

★ ,,والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون،، (٥١ / ٤٧).

حتى ذهب الى أن يقول : ,,لا تبديل لخلق الله،، (٣٠ / ٣٠) ، ,,فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا،، (٣٥ / ٤٣(ومرّات فى معناه).

ويعترف أيضا بتفاوت الدرجات بيـن مختلف الكائنـات فيقـول : ,,خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين ، االذين آمنوا .

. ..» (٩٥ / ٤ ـ ٦) ، فيتقهقر الملائكة فى البشر ، كما يقول : ,,على الملكين ببابل هاروت و ماروت » (٢ / ١٠٢) ، ويتقهقر الانسان فى القرد، كما قال : ,,كونوا قردة خاسئين» (٢ / ٦٥) . وفى خلق الانسان تفاصيل عديدة.

★ ,,لما خلقت بيدى» (٣٨ / ٧٥).

★ ,,بدأ خلق الانسان من طين» (٣٢ / ٧)(ومرّات بمعناه).

★ ,,فانّا خلقناكم من تراب ثم من نطفة» (٢٢ / ٥).

★ ,,ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ؛ ثم جعلناه فى قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة . . . . » (٢٣ / ١٢ ـ ١٤).

ويعرف القرآن أن النطفة لا تخرج من التراب والطين ، بل ,,يخرج من بين الصلب والترائب » (٨٦ / ٧) . ,,يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث» (٢٩ / ٦).

ويخبرنا : ,,لتركبن طبقا عن طبق» (٨٤ / ١٩) ويخبرنا : ,,وقد خلقكم أطوارا» (٧١ / ١٤) . والاطوار من التطور . وعندما يقرؤ المتدبر : ,,هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها» (٤ / ١ ويكرره فى ٧ / ٧٩او ٣٩ / ٦) يتسائل هل كان الانسان فى أول الامر مثل بعض الحيوانات والاشجار التى تتناسل وليس فيها فرق الذكر والانثى ؟

إلى غير ذلک من الاشارات ، فتبارک الله أحسن الخالقين (٢٣/ ١٤).

(٢)

لما تطور العلم والفكر عند المسلمين بالتدريج بدؤا يدوّنون نظرياتهم . وكان لابد أن يكون عندهم اختلاف أيضا. و يعرف كل انسان عادى حتى الساذج من الناس أن الكائنات تنقسم الى الجمادات والنباتات والحيوانات . عرفه من كان فى مشارق الارض ومغاربها ، وعرفه حتى البدوى الأمى من العرب ، كما يدل عليه وجود هذه المصطلحات فى لغته .

هذا أمر يتعلق بالمشاهدة ، ولا يمكن أن يقال أن الرومى مثلا تعلمه من اليونانى ، أو الهندى من الصينى.

ولكن استحالة بعض الكائنات إلى بعض أمر لم يقل بها كثير من الأمم . فنحاول أن نجمع ههنا ما تيسّر لنا فى هذا المجال :

(١) ولعل أقدمهم الجاحظ (المتوفى ٢٥٥ هـ) ، وهو تلميذ الامام أبى يوسف . وذكر شارل بيلا Ch. PELLAT فى دائرة المعارف الاسلامية، من الطبعة الثانية ، تحت مادة ,,الجاحظ" أن الجاحظ بين فى كتابه ,,كتاب الحيوان " أشياء تدل أنه كان يعتقد فى تطور الانواع وتحول بعضها الى بعض . ولكن مع الاسف لم يذكر شارل بيلا بالضبط العبارات من كتاب الحيوان حتى أنقلها ههنا . لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

(٢) ثم تأتى رسائل اخوان الصفاء ، وهى لمؤلفين لم يريدوا ذكر أسمائهم . ويقال ان هذه الرسائل ألّفت بين ٣٣٤ و ٣٧٣ للهجرة ـ. ووصلت إلينا ، ونجد فى المطبوع منها:

,,القسم الثانى الجسمانيات الطبيعيات . الرسالة الأولى فى بيان الهيولى والصورة والحركة والزمان . الثانية فى السماء والعالم. الثالثة الكون والفساد ، الرابعة الآثار العلوية. الخامسة تكوين المعادن . السادسة فى ماهية الطبيعة . السابعة فى أجناس النبات . الثامنة فى كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها . . . . (ص ٣٥) " .

,,لما فرغنا من ذكر الاجسام الفلكية وبينا كمية أكرها وكيفية نظامها . . . فنريد أن نذكر فى هذه الرسالة ، الملقبة بالكون والفساد ، الاجسام الطبيعية التى دون فلك القمر ، وكمية عدد ها ، وكيفية نظامها ، واختلاف طبائعها ، وكيفية استحالة بعضها الى بعض ، بتأثيرات الاجسام الفلكية فيها،وكمية الاجناس الكائنات المتولدات منها . إعلم أيها الأخ ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أن الاجسام التى تحت فلك القمر سبعة أجناس.

أربعة منها هي الأمهات الكليات ، وهي النار والهواء والماء والارض. وثلثة هي المولدات والجزئيات ، وهي الحيوان والنبات والمعادن ،فنبدؤ أولا بوصف الامهات الكليات . . . (ص ٤٢) الرسالة الرابعة في الآثار العلوية . . . (ص ٤٥) انعكاس الشعاعات . . . (ص ٥٩) الرسالة الخامسة في بيان تكوين المعادن . . . . .،،

،،ثم اعلم ، يا أخي ، أن استحالة الكائنات الفاسدات التي تحت فلك القمر هي خمسة أنواع . فمنها استحالة الأركان الاربعة بعضها إلى بعض ، كما بينا طرفا من كيفية ذلك في رسالة الكون والفساد . ومنها حوادث الجو و تغييرات الهواء كما بينا (ص ٦٠) طرفا منها في الآثار العلوية . ومنها استحالة الكائنات الفاسدات تكون وتنعقد في باطن الارض وعمق البحار وجوف الجبال وهي الجواهر المعدنية .كما سنبين طرفا من كيفيتها في هذه الرسالة . ومنها استحالة النباتات والاشجار ، وهو كل جسم يغتذي وينمي ،بينا طرفا منها في رسالة أخرى ، ومنها استحالة الحيوان وهو كل جسم متحرك حساس كما بينا طرفا منها في رسالة بعد ذكر النبات .،،

،،واعلم (أن) هذه الاشياء التي ذكرناها أنها تتكون وتحدث وتتغير وتفسد بطول الزمان والدهور وتناوب الليل والنهار ، وتعاقب الشتاء والصيف على الأركان الاربعة التي هي الأرض والماء والهواء والنار ، ويكون اختلاف أحوالها بحسب موجبات أحكام النجوم في القرانات والألوف والأدوار وبحسب أشكال الفلك ومسيرات الكواكب ومطارح شعاعاتها من الاوتاد والآفاق . و نريد أن نبين كيفية تكوين المعادن . . . (ص ٧٠) ، وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنية ، فان مادتها إنما هي رطوبات ومياه وأنداء وبخارات تنعقد بطول الوقوف وممر الزمان في البقاع المخصوصة لها . . . .،، (ص ١٠١).

،،لما فرغنا من ذكر الجواهر المعدنية . وبينا طرفا من كيفية تكوينها،

وكمية أجناسها ، وفنون أنواعها ، وخواص منافعها و مضارها فى رسالة لنا ، وبينا فيها بأن آخر مرتبة المعدنية متصلة بأول مرتبة النباتية . فنريد أن نتبعها برسالة النبات ، ونبين فيها أيضا طرفا من كيفية نشو النبات ، وكمية أجناسها ، وفنون أنواعها ، وخواصها ، ومنافعها ، ومضارها ، ونبين فيها أيضا أن آخر مرتبة النبات متصلة بأول مرتبة الحيوانية ، وأن آخر مرتبة الحيوانية متصلة بأول مرتبة الانسانية ، وآخر مرتبة الانسانية متصلة بأول مرتبة الملائكة ، الذين هم سكان السماوات وقاطنو الافلاك . . . . „ (ص ١١٢).

,,أما النخل فهو آخر مرتبة النباتية ممايلى الحيوانية ، وذلک أن النخل نبات حيوانى ، لأن بعض أحواله متباين لأحوال النبات ، وان كان جسمه نباتا . بيان ذلک أن القوة الفاعلة منفصلة من القـوة المنفعلة . والدليل على ذلک أن أشخاص الفحولة منه مباينة لأشخاص الأناث . ولأشخاص فحولته لقاح فى أناثها ، كما يكون ذلک للحيوان.أما سائر النبات فان القوة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من القوة المنفعلة بالشخص بالفعل ، حسب ما بينا فى رسالة لنا . وأيضا فان النحل إذا قطعت رؤوسها جفت ، وبطل نمو ها ونشوها وماتت . كل ذلک موجود فى الحيوان . فبهذا الاعتبار تبين أن النخل نباتى بالجسم ، حيوانى بالنفس ، اذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية ، وشكل جسمه شكل النبات . . . . „

,,وأعلم يا أخى (ص ١١٣) بأن أول مرتبة الحيوان متصلة بآخر مرتبة النبات ، وآخر مرتبة الحيوان متصلة بأول مرتبة الانسان ، كما أن أول مرتبة النباتية متصل بآخر مرتبة المعدنية ، وأول مرتبة المعدنية متصل بالتراب والماء كما بينا قبل . فأدون الحيوان وأنقصه هو الذى ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون . . . فقد بان بما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية ممايلى رتبة الانسانية ليس من وجه واحد ولكن من عدة وجوه (ص ١١٤).

وذلک ان رتبة الانسانية لما كان معدنا للفضل وينبوعـا للمناقـب لم

يستوعبها نوع واحد من الحيوان ، ولكن عدة أنواع . فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسده ، مثل القرد . ومنها ما قارب بالاخلاق النفسانية ، كالفرس فى كثير منّ أخلاقه . ومنها كالطائر الانسانى أيضا . ومثل الفيل فى ذكائه . وكالببغاء والغرار ونحوهما من الأطيار الكثيرة الأصوات والألحان والنغمات . ومنها النحل اللطيف الصنائع ، الى ما شاكل هذه الأجناس . وذلك أن ما من حيوان يستعمله الناس ويأنس بهم الا ولنفسه قرب من نفس الانسانية . أما القرد فلقرب شكل جسمه من شكل جسد الانسان صارت نفسه تحاكى أفعال النفس الانسانية . وذلك مشاهد منه متعارف بين الناس . (ص ١١٩)».

الرسالة الثامنة منها فى كيفية تكوين الحيوانات وأصنافها . . . . (ص ١٢١).

«فصل . واعلم ، يا أخى ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن صور النبات منكوسة الانتصاب إلى أسفل ، لأن رؤرسها نحو مركز الأرض ومؤخرها نحو محيط الافلاك ، . والانسان بالعكس من ذلك إلى فوق ، لأن رأسه ممايلى الفلك ورجليه ممايلى مركز الأرض إلى موضع وقف علىّ بسيطها . . . والحيوانات متوسطة بين ذلك لا منكوسة كالنبات ، ولا منتصبة كالانسان ، بل رؤوسها إلى الآفاق ومؤخرها الى ما يقابله من الأفق الآخر . . . . (راجع رسائل اخوان الصفا ، فى أربع مجلدات طبع بمبئى بالهند ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦هـ ، فراجع المجلد الثانى منها).

(٣) ثم خلفهم أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه الذى توفى فى ٤٢١ هـ طاعنا فى السن . وكان طبيبا فيلسوفا . وذكر آراءه فى هذا الموضوع فى كتابين له : الفوز الأصغر ، وتهذيب الاخلاق ، وكلاهما طبعا مرارا . والبيانان يكمل بعضهما بعضا . ولذلك أنقل كليهما:

الف) المسئلة الثالثة فى النبوات وهى أيضا تشتمل على عشرة فصول . الفصل الأول فى مراتب موجودات العالم واتصال بعضها ببعض .

انه وان كان قصدنا الأول الكلام على النبوات ، فانا لانصل إلى الحقيقة إلا بعد ذكر مراتب الموجودات ، والحكمة السارية فـي جميعها التى نشأت من قبل الواحد الحق ، وأعطت كل مرتبة قسطها ، ووفتها قدر استحقاقها بالميزان العدل . ونبتدى بأول هذه المراتب . . . . »

,,إن أول أثر ظهر فى عالمنا هذا من نحو المركز ، بعد امتزاج العناصر الاول ، أثر حركة النفس فى النبات . وذلك أنه تميز عن الجماد بالحركة والاغتذاء . والنبات فى قبول هذا الأثر مراتب مختلفة . فأول مراتبها هو لما نجم من الأرض لم يحتج الى بذر ، ولم يحفظ نوعه ، ولم يبزر كأنواع الحشائش . وذلك أنه فى أفق الجماد . والفرق بينهما هذا القدر فى قبول أثر النفس . ولا يزال هذا الأثر يقوى فى نبات آخر يليه فى الشرف ، حتى يصير له من القوة فى الحركة أن يتفرع وينبسط ويتشعب ويحفظ نوعه بالبزر . ويظهر فيه من أثر الحكمة أكثر مما ظهر فى الأول ولايزال هذا المعنى يزداد فى شئ بعد شئ ظهورا حتى يصير الى شجر (كذا) الذى له ساق وورق وثمر يحفظ به نوعه. وما كان من الشجر على الجبال ، وفى البرارى المنقطعة ، وفى الغياض وجزائر البحار ، (فهو) لا يحتاج الى غرس ، بل ينبت لذاته ، وان كان يحفظ نوعه بالبزر . وهو ثقيل الحركة ، بطىء النشوّ ,,.

,,ثم يتدرج من هذه الرتبة ، ويقوى هذا الأثر فيه ، ويظهر شرفه على ما دونه حتى ينتهى الى الأشجار الكريمة التى تحتاج الى غاية من استطابة التربة واستعذاب الماء والهواء اعتدال مزاجها ، والى صيانة ثمرتها التى تحفظ بها نوعها كالزيتون والرمان والسفرجل والتفاح والتين والعنب وأشباهها . ويتدرج أيضا فى قبول هذا الأثر إلى أن ينتهى إلى رتبة الكرم والنخل . وإذا انتهى إلى ذلك صار فى الأفق الأعلى من النبات ، وصار بحيث إن زاد قبوله لهذا الأثر لم يبق له صورة النبات ، بل دخل فى صورة الحيوان . وذلك أن النخل قد بلغ من شرفه على النبات أن

حصلت فيه نسبة قوية من الحيوان ومشابهة كثيرة منها . أولها أن الذكر متميز من الأنثى ، وأنه يحتاج الى التلقيح ليتم حمله . فان عرضت له آفة تلف . وليس كذلك سائر الاشجار . وبزر النخل الذي يسمى طلعا ، وبه تلقح النخلة ، شبيه الرائحة ببزر الحيوان . إلى خصال آخر ليس هذا موضع احصائها .,, .

,,فقد تبين بلوغ النخلة غاية الموضوع للنبات أن يبلغه ، وصار في أفق الحيوان . وذلك أن أول مايرتقي النبات من منزلته الأخيرة ويتميز من مرتبته الأولى إلى أن ينقطع من الأرض ، ولا يحتاج إلى إثبات العروق فيها ، مما يحصل له التصرف بالحركة الاختيارية . وهذه الرتبة الأولى من الحيوان فيه ضعيفة لضعف أثر الحسّ فيه ، وهو حس واحد ، يقال حس اللمس . وذلك كالصدف وأنواع الحلذون الذي يوجد في شاطىء الأنهار وأسياف البحار . وإنما تعرف حيوانيته ، ويعلم أنه ذو حس واحد من أجل أنه إن استلب من موضعه بسرعة وعلى عجلة خفة ، فارق موضعه واستجاب للآخذ . وإن أخذ بإبطاء وعلى ترتيب لزم موضعه وتمسك به. وهو يضعف عن التنقل ، وان كان قد يقلع من الأرض وصارت له حياة ما . لأنه في الأفق القريب من النبات . وفيه مناسبة منه.,,

,,ثم يرتقي من هذه الرتبة إلى أن يتنقل و يتحرك ، وتقوى فيه قوة الحس ، و يظهر أثر النفس فيتنقل ويلتمس منافعه . ويصير له حسّان ، كالدود و كثير من الفراش والدبيب . ثم يرتقي من هذه الرتبة ، و يقوى أثر النفس فيه ، إلى أن يصير منه الحيوان الذي له أربع حواس ، كالخلد وما أشبهه . ثم يرتقي من ذلك إلى أن يصير له من حس البصر شئ ضعيف ، كالنمل والنخل والحيوان الذي على عيونه شبه الخزف ، وليست له أجفان ولا ما يستر أحداقها . ثم يقوى ذلك ، الى أن يصير منه الحيوان الكامل في الحواس الخمس . وهي مع ذلك متفاوتة المراتب . فمنها البليدة الجافية الحواس ، ومنها الذكية اللطيفة ، التي تستجيب للتأديب وتقبل

الأمر والنهى ، وتستعد لقبول أثر النطق والتمييز ، كالفرس والبهائم والبازى من الطير . ثم يقرب من آخر مرتبة البهائم ، ويصير فى أفقه الأعلى ، وفى أول مرتبة الانسان . وهذه الرتبة وان كانت شريفة من مراتب الحيوانات ، وعلى أعلاها وأفضلها فهى دنية خسيسة عن مرتبة الانسان وهى مراتب القرود وأشباهها من الحيوانات التى قاربت الانسانية . وليس بينهما الا اليسير الذى ان تجاوزه صار انسانا ، فاذا بلغه انتصبت قامته ، وظهر فيه من قوة التمييز الشئ اليسير الذى يناسب حالة وقرّبه من أفق البهائم . ولكنه على حال يهتدى أفضل الاهتداء إلى المعارف ، ويقوى فيه أثر النفس ، ويقبل التأديب بالفهم والتمييز . وهذا الأثر ، وإن كان شريفا بالاضافة إلى مادونه من رتب البهائم ، فهو خسيس دنى جدا بالاضافة إلى الانسان الكامل النطق . وهذه المرتبة الأدنى من مرتبة الانسانية هى فى أفق البهيمية . وهى فى أقصى المعمورة من الارض وفى أطرافها من الشمال والجنوب كالترك والزنج . فهؤلاء ليس بينهم وبين المرتبة الاخيرة من البهائم التى ذكرناها كثير فرق . وليس يهتدون بالتمييز الى كثير من المنافع . ولا يؤثر عنهم حكمة ، ولا يقبلونها أيضا من الامم التى تجاورهم . ولذلك ساءت أحوالهم وقل تنعمهم ، وحصلوا غير مغبوطين ، ولا مستصلحين لغير العبودية والاستخدام فيما تستخدم به البهيمة . ثم لا يزال أثر النطق يظهر ويزيد إلى أن يصير الى وسط المعمورة فى الاقليم الثالث والرابع . فحينئذ يكمل هذا الأثر ويصير بحيث تراه من الذكاء والفهم ،والتيقظ للأمور ،والكيس فى الصناعات واستخراج غوامض العلوم ، والاتساع فى المعارف . ثم يقع التفاوت فى هذه الرتبة حتى يبلغ منها أن يومأ الى الواحد فى سرعة الهاجس وقوة الحدس وصحة الفكر وجودة النظر. فاذا بلغ الانسان هذه الرتبة فقد قارب البلوغ الى غاية أفقه الذى يتصل به أول افق الملائكة . . . . » (الفوز الاصغر ، ص ٨٦ ـ ٩٢ ، طبع بيروت)

(ب) ,,الاجسام الطبيعية : إن الاجسام الطبيعية كلها تشترك فى الحد الذى يعمها ، ثم تتفاضل بقبول الآثار الشريفة الصور التى تحدث فيها . فان الجماد منها إذا قبل صورة مقبولة عند الناس صار بها أفضل من الطينة الأولى التى لا تقبل تلك الصورة . فاذا بلغ إلى أن يقبل صورة النبات صار بزيادة هذه الصورة أفضل من الجماد . وتلك الزيادة هى الاغتذاء والنمو والامتداد فى الاقطار واجتذاب ما يوافقه من الأرض والماء وترك ما لا يوافقه ، و نفض الفضلات التى تتولد فيه من غذائه عن جسمه بالصموغ . وهى هذه الأشياء التى ينفصل بها النبات من الجماد . وهى حال زائدة عن الجسمية التى حددناها .وكانت حاصلة فى الجماد . وهذه الحالة الزائدة فى النبات التى شرف بها على الجماد تتفاضل . وذلك أن بعضه يفارق الجماد مفارقة يسيرة كالمرجان وأشباهه ثم يتدرج فيها فيحصل له من هذه الزيادة شئ بعد شئ . فبعضه ينبت من غير زرع ولابذر،ولا يحفظ نوعه بالثمروالبزر، ويكفيه فى حدوثه امتزاج العناصر وهبوب الرياح وطلوع الشمس . فلذلك هو فى أفق الجمادات وقريب الحال منها . ثم تزداد هذه الفضيلة فى النبات فيفضل بعضه على بعض بنظام و ترتيب حتى تظهر فيه قوة الاثمار وحفظ النوع بالبزر الذى يخلف به مثله . فتصير هذه الحالة الزائدة فيه و مميزة له عن حال ما قبله . ثم تقوى هذه الفضيلة فيه حتى يصير فضل الثالث على الثانى كفضل الثانى على الأول..

..ولايزال يشرف ويفضل بعضه على بعض حتى يبلغ الى أفقه ، ويصير فى أفق الحيوان . وهى كرام الشجر ،كالزيتون والرمان والكرم وأصناف الفواكة . الا أنهـا تعـد مختلفة القوى . أعنى أن قوى ذكورها و أناثها غير متميزة .فهى تحمل وتلد المثل ، ولم تبلغ غاية أفقها الذى يتصل بأفق الحيوان . ثم تزداد وتمعن فى هذا الأفق إلى

ان تصير فى أفق الحيوان فلا تحمل زيادة . وذلک أنها ان قبلت زيادة يسيرة صارت حيوانا ، و خرجت من أفق النبات . فحينئذ تتميز قواها ، ويحصل فيها ذكورة وأنوثة ، و تقبل من فضائل الحيوان أمورا تتميز بها عن سائر النبات والشجر ، كالنخل الذى طالع أفق الحيوان بالخواص العشر المذكورة فى مواضعها ، ولم يبق بينه و بين الحيوان إلا مرتبة واحدة، وهى الانقلاع من الأرض ، والسعى إلى الغذاء وقد روى فى الخبر ماهو ، كالاشارة أو كالرمز إلى هذا المعنى . وهو قوله صلى الله عليه و سلم : أكرموا عماتكم النخل ، فانها خلقت من بقية طينة آدم . فاذا تحرک النبات، وانقطع من أفقه ، وسعى الى غذائه ، ولم يتقيد فى موضعه الى أن يصير اليه غذاؤه ، و كونت له آلات أخر يتناول بها حاجاته التى تكمله ، فقد صار حيوانا . وهذه الآلات تتزايد فى الحيوان من أول أفقه و تتفاضل فيه ، فيشرف فيه بعضها على بعض كما كان ذلک فى النبات . فلا يزال يقبل فضيلة بعد فضيلة حتى تظهر فيه قوة الشعور باللـذة والأذى ، فيلتذ بوصوله الى منافعه ، ويتألم بوصول مضاره اليه . ثم يقبل الهام الله عزوجل اياه ، فيهتدى الى مصالحه فيطلبها ، وإلى أضداده فيهرب منها».

„وما كان من الحيوان فى أول أفق النبات فانه لا يتزاوج ، ولا يخلف المثل ، بل يتولد كالديدان والذباب وأصناف الحشرات الخسيسة . ثم يتزايد فيه قبول الفضيلة ، كما كان فى النبات سواء . ثم تحدث فيه قوة الغضب التى ينهض بها الى دفع مايؤذيه ، فيعطى من السلاح بحسب قوته ، وما يطيق استعماله . فان كانت قوته الغضبية شديدة كان سلاحه تاما قويا ، وان كانت ناقصة كان ناقصا . وان كانت ضعيفة جدا لم يعطسلاحـا البتة ، بل أعطى آلة الهرب والعدو ، والقدرة على الحيلة التى تنجية من مخاوفه . وأنت ترى ذلک عيانا من الحيوان الذى أعطى القرون التى تجرى له مجرى الرماح . والذى أعطى الأنياب والمخالب التى تجرى له مجرى السكاكين والخناجر ، والذى أعطى له آلة الرمى التى تجرى له

مجرى النيل والنشاب. والذى أعطى الحوافر التى تجرى له مجرى الدبوس والطبرزين . فأما ما لم يعط سلاحا لضعفه عن استعماله ولقلة شجاعته ونقصان قوته الغضبية ، ولانه لو أعطيه لصار كلا عليه ، فقد أعطى آلة الهرب والحيل ، بجودة العدو والخفة والختل والمراوغة كالذئاب وأشباهها . واذا تصفحت أحوال الموجودات من السباع والوحش والطير رأيت هذه الحكمة مستمرة فيها . فتبارك الله أحسن الخالقين . لا اله الا هو، فادعوه مخلصين له الدين . الحمد لله رب العالمين».

,,فأما الانسان فقد عوض من هذه الآلات كلها بأن هدى إلى استعمالها كلها ، وسخرت هذه كلها له . وسنتكلم على ذلك فى موضعه . وأما أسباب هذه الأشياء كلها ، والشكوك التى تعترض فى قصد بعضها بعضا بالتلف ،والأنواع من الأذى فليس يليق بهذا الموضع ، وسأذكر ، إن أخر الله فى الأجل ، عند بلوغنا الى الموضع الخاص بها».

,,مراتب الحيوان : ونعود إلى ذكر مراتب الحيوان ،فنقول إن ما هدى منها إلى الازدواج ، وطلب النسل ، وحفظ الولد ، وتربيته، والاشفاق عليه بالكن والعش واللباس ، كما نشاهد فيما يلد ويبيض ، وتغذيته إما باللبن وإما بنقل الغذاء إليه فانه أفضل مما لا يهتدى الى شئ منها . ثم لا تزال هذه الأحوال تتزايد فى الحيوان حتى يقرب من أفق الانسان ، فحينئذ يقبل التأديب ، ويصير بقبوله الأدب ذا فضيلة ، يتميز بها من سائر الحيوانات . ثم تتزايد هذه الفضيلة فى الحيوانات حتى يشرف بها ضروب الشرف ، كالفرس والبازى المعلّم . ثم يصير من هذه المرتبة إلى مرتبة الحيوان الذى يحاكى الانسان من تلقاء نفسه ، ويتشبه به من غير تعليم ، كالقردة وما أشبهها . ويبلغ من ذكائها أن تستكفى فى التأديب بأن ترى الانسان يعمل عملا فيعمل مثله ، من غير أن يتحوج الانسان إلى تعب بها ورياضة لها وهذه غاية أفق الحيوان التى ان تجاوزها ، وقبل زيادة يسيرة ، خرج بها عن أفقه وصار فى أفق الانسان الذى يقبل العقل والتمييز والنطق والآلات

التى يستعملها والصور التى تلائمها . فاذا بلغ الى هذه الرتبة تحرك إلى المعارف ، واشتاق الى العلوم ، وحدثت له قوى وملكات ومواهب من الله عزوجل ، يقتدر بها على الترقى والامعان فى هذه الرتبة ، كما كان ذلک فى المراتب الاخرى التى ذكرناها.،،

،،وأول هذه المراتب من الأفق الانسانى المتصل بآخر ذلک الأفق الحيوانى مراتب الناس الذين يسكنون فى أقاصى المعمورة من الشمال والجنوب ، كأواخر الترک من بلاد ياجوج وماجوج ، وأواخر الزنج وأشباهه من الأمم التى لا تميّز من القرود الا بمرتبة يسيرة . ثم تتزايد فيهم قوة التمييز والفهم إلى أن يصيروا الى وسط الأقاليم ، فيحدث فيهم الذكاء وسرعة الفهم والقبول للفضائل . وإلى هذا الموضع ينتهى فعل الطبيعة التى وكلها الله عزوجل بالمحسوسات . ثم يستعد بهذا القبول لاكتساب الفضائل واقتنائها بالارادة والسعى والاجتهاد الذى ذكرناه فيما تقدم ، حتى يصل إلى آخر أفقه . فاذا صار إلى آخر أفقه اتصل بأول أفق الملائكة . وهذا أعلىٰ مرتبة الانسان . وعندها تتأحد الموجودات ، ويتصل أولها بآخرها . وهو الذى يسمى دائرة الوجود . لان الدائرة هى التى قيل فى حدها : انها خط واحد ، يبتدى بالحركة من نقطة و ينتهى إليها بعينها.

ودائرة الوحدة هى المتأحدة التى جعلت الكثرة وحدة . وهى التى تدل دلالة صادقة برهانية على موجدها وحكمته وقدرته ووجوده،تبارک اسمه ، وتعالى جده،وتقدس ذكره. ،،(تهذيب الاخلاق لابن مسكويه ، ص ١١٨ ـ ١٣٢ ، طبع مصر ١٣١٧هـ على هامش أدب الدنيا والدين للماوردى) (ولسهو الطباعة رقمت الصفحات ١٢١ ـ ١٣٢ بالارقام ١١٣ ـ ١١٥ مكررة ، فتنبه).

٤) محمد بن حبيب الله تركة الاصفهانى أفضل الدين أبوحامد،وقد نقل عنه ألمالى محمد حمدى يازر فى تفسيره التركى للقرآن الكريم ، ج ٤، ص ٣٤٣٤ كمايلى :

Bundan dolayi ötedenberi meâdinin, nebâtâtin, hayvanatin tesniflerine çok ehemmiyet verilmiş ve zaman zeman muhtalif noktai nazarlardan muhtalif tasnifler yapilmiş, ve türlü mulahazalar yürütülmüştür. Ezcumle Ibn Türketel-esfeshani *Fusus* şerhinde dimiştir ki : " Arzda evvelâ tekevvün eden meâdin, sonra nebât, sonra hyvanlar. Ve Hak teala bu mevalid eczasinden her sinfinin ahirini onu velyedenen evvelâ kildi da meadinin ahiri ve nebatin evvelini mantar, nebatin ahiri ve hayvanin evvelini hurma, heyvanin âhiri ve insanin evvelini maymun kildi ki vahdati ittisaliyye halel ve inhiraftan fasila ve inkitâ 'dan mahfuz ve mazbut olsun için". (Hak Dini Kur'an Dili, IV, 3434).

ترجمة :

,,لسبب هذا أعطى أهمية كبيرة منذ قديم ، لتقسيم (الموجودات فى) الجمادات والنباتات والحيوانات . ومن زمن إلى آخر قسم الناس ، من نقاط النظر المختلفة ، تقسيمات مختلفة ,ولاحظوا ملاحظات عديدة . ومن جملتهم ماذكر ابن تركة الاصفهانى فى شرح الفصوص : أول ماخلق فى الأرض كانت جمادات ، ثم النباتات بعد ذلك ، ثم الحيوانات . والله سبحانه وتعالى لما أراد خلق هذه المواليد (الثلاثة) جعل النوع الأعلى من كل جنس فوق جميع الأنواع . ولذلك أعلى الجمادات وأدنى النباتات هو الفطر (MUSHROOM) ، وأعلى النباتات وأدنى الحيوانات هو النخل ، وأعلى الحيوانات وأدنى الانس هو القرد ، لكى تكون منفصلة من الخلل والانحراف ومحفوظة مصونة من الانقطاع . (محمد حمدى يازر ، حق دينى قرآن ديلى ، ج ٤ ، ص ٣٤٣٤). ،

٥) ومعاصرهما ابن الهيثم (المتوفى ٤٣٠هـ) ونقل عنه السيد أمير على مثل هذه الآراء ولكن مع الاسف بدون ذكر المأخذ . هذا ما قال :

The doctrine of evolution and progressive development to which these philosophers adhered most strongly has been propounded in clear terms by one of their representatives, the famous Al-Hazen. The philophical notions on this subject may be summarised thus : In the region of existing matter, the mineral kingdom comes lowest, then comes the vegetable king-

dom, then the animal, and finally the human being. By his body he belongs to the material world, but by his soul he appertains to the spiritual beings—the angels—above whom only is God, thus the lowest is combined by a chain of progress to the highest. But the human soul perpetually strives to cast off the bonds of matter, and, becoming free, it soars upwards again to God, from where it emanated." (Syed Ameer Ali, *The Spirit of Islam*, 6th impression, London 1952, p. 424).

ترجمة :

,,ان نظرية التطور والارتقاء الناهض التي تمسك بها هؤلاء الفلاسفة بكل شدة ، قد ذكرها بكل وضاحة وصراحة أحد ممثليهم ، أعنى ابن الهيثم الشهير . وخلاصة أفكاره الفلسفية فى هذا الموضوع كما يلى: فى عالم الموجودات المادية ، الجمادات هى أدناها ، ثم تكون (فوقها) النباتات ، ثم الحيوانات ، وأخيرا الانسان . فالانسان بجسده متعلق بعالم المادة ولكن بروحه هو متعلق بالموجودات الروحانية ، أى الملائكة . وفوقهم ليس إلا الله سبحانه . وهكذا الأدنى متصل بسلسلة ارتقائية بالأعلى . ولكن النفس الانسانية تجتهد دائما أن تتحرر من أغلال المادة . وعندما تتحرر تصعد إلى العلو مرة أخرى إلى الله تعالى الذى خرجت منه (فاليه المبدأ والمعاد) . (سيد أمير علي:ذى اسپريت آو اسلام ، طبعة سادسة ، لوندره ١٩٥٢ م ، ص ٤٢٤).

٦) ان ابن الطفيل القيسي الأندلسي المتوفى ٥٨١ هـ معروف لقصته الرمزية المعروفة برسالة حى بن يقظان . وينسب اليه أيضا أفكار مماثلة .

٧) ثم يجئ عصر أحد من كبار الصوفية مولانا جلال الدين الرومى المتوفى ٦٧٢ هـ ننقل بعض أشعاره من تأليفه ,,مثنوى" :

از جمادی مردم ونامی شدم
وزنما مردم بحیوان برزدم
مردم از حیوانی وآدم شدم
پس چه ترسم کی از مردن کم شدم

حمله دیگر بمیرم از بشر
تا برآرم از ملایک پروسر
وز ملک هم بایدم جستن زجو
کل شیء هالک الا وجهه
باز دیگر از ملک قربان شوم
آنچه اندر وهم ناید آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون
گویدم که إنا لله وإنا إليه راجعون
(مثنوی ٢ / ٢٢٣)

ترجمة :

من الجماد صرت إنسانا وناميا
مت كالنامي و تخلصت الى الحيوان ،
مت كالحيوان فصرت آدميا
لذلک لماذا أخاف من الموت أن أتدهور (أو : أصير مفقودا) ؟
ولو أموت مرة أخرى فى حال البشرية
سأتحصل من الملائكة الأجنحة والرأس
وحتى من الملائكة يجب أن أحاول التخلص
لان كل شئ هالک الا وجهه
وعندما أكون ضحية بعد ما كنت ملكا
سأصير مالا يخطر حتى بالبال
أصير معدوما (بعد الوجود) وسيقول ,,العدم،، كالأرغنون :
إنا لله وإنا إليه راجعون.

صد هزاران حشر دیدی ای عنود
تاکنون هر لحظه از بدوّ وجود

از جمادی بی خبر سوی نما
وزنما سوی حیات وابتلاء
باز سوی عقل و تمیزات خوش
باز سوی خارج این پنج وشش

(مثنوی ٣ / ٥٢).

ترجمة :

رأيت مئات الآلاف من الحشر ، أيها العنود
حتى الآن فی كل لحظة منذ بدء الوجود
صرت من الجماد إلى النامی بدون شعور
ومن النامی صرت إلى الحيوان والابتلاء
فاخرج مرة أخرى الى العقل والتمييزات الجيدة
واترک مرة أخرى التذبذب

ضد را باضد ایناس کجا ؟
با امام الناس نسناس از کجا ؟
(مثنوی ٢ / ٣٩٣) دفتر ششم

ترجمة :

أين تكون المؤانسة بين ضدين ؟
من أين يكون المناسبة بين النسناس وامام الناس ؟

٨) وألف معاصره نصير الدين الطوسی المتوفی ٦٧٢ هـ كتاب ,,أخلاق ناصری،، بالفارسية على طلب حاكم قهستان ناصر الدين عبد الرحيم بن أبی منصور . والكتاب مطبوع فی مطبعة نول كشور ، لكهنو ، بالهند فی ١٨٩٨ / ١٣١٦هـ والفصل الرابع منه (الصفحات ٤٦ ـ ٥٦) يحتوی على خلاصة آراء ابن مسكويه ، خاصة من تهذيب الاخلاق . فلانحتاج إلى تحصيل الحاصل، ومن شاء فليراجع : ,,فصل چهارم در بیان آنکه انسان اشرف موجودات این عالم است ،، . (ای الفصل الرابع فی

بيان أن الانسان أشرف موجودات هذا العالم).

٩) الشيخ عبد العزيز بن محمد النسفى الذى عاش حوالى ٦٨٠هـ

لـه تأليف بالفارسية بعنوان ,,كشف الحقائق„ (طبع تهران ١٣٤٤هـ) جمع فيه أفكار كثير من مذاهب الفلسفة ، فيها التناسخ وغير ذلک ، لاصلة له بالاسلام . ولذلک نكتفى باقتباس أسطر من ,,فصل درسخن أهل حكمت در بيان آنكـه عالم بچـه طريق پيدا آمد ودر بيان ترتيب موجودات „ (راجع ص ٤٥ ـ ٤٦) : ,,أول ما خلق الله العقل . واين اصليست بنزديک ايشان : لا يصدر من الواحد إلا الواحد„ . بس از بارى تعالى . . . يک چيز بيش صادر نشد وآن عقلست . . . واز هر عقلى فلكى وعقلى صادر مى شد تا بعقل نهم كـه فلک قمر است رسيد . . . واز عقل دهم عنصر صادر شد كـه ماده عالم كون وفساد است . . . اگر در عنصر استعداد وقابليت صورت آتشى پيدا آيد ، صورت آتشى در وى حال ميشود . اگر استعداد وقابليت خاک . . . وچون بايكديگر مى آميزند مزاج پيدا مى آيد . اگر استعداد وقابليت معدنى پيدا مى آيد صورت معدنى در وى حال ميشود . اگر استعداد وقابليت نباتى . . . اگر استعداد وقابليت حيوانى . . . وسبب اين استعددا وقابليت حركات افلاک است . . . . „

ترجمة

فصل فى قول الحكماء ، ,,فى بيـان كيف جاء العالم إلى حيز الوجود ، وفى بيان ترتيب الموجودات „ . أول ما خلق الله العقل . والأصل عندهم أنه لا يصدر من الواحد إلا الواحد . ولذلک لم يصدر من الله إلا شئ واحد ، وهو العقل ، . . ويصدر من كل عقل عقل وفلک إلى أن يصل إلى العقل التاسع الذى هو فلک القمر . . . ومن العقل العاشر صدر العنصر ، وكان مادة عالم الكون والفساد . فلو تولد فى العنصر الاستعداد والملكة لصورة النار تتحصل منه فى الفور صورة النار . . . ولو تولـد استعداد التراب . . . وعندما تختلط هؤلاء بعضها مع بعض يتولد المزاج .

ولو تولد استعداد المعدنيات أخذ فى الفور صورة الشئ المعدنى . ولو كان الاستعداد للنبات . . . لو كان الاستعداد للحيوان . . . . وسبب هذا الاستعداد هو حركة الأفلاك .

١٠) محمد القزوينى المتوفى ٦٨٢هـ مؤلف عجائب المخلوقات . كرر هو أيضا نفس الأفكار ، نقتبس منه عدة أسطر ، وهذا لبيان أن المسلمين لم يتركوا تلك الآراء على ممر الزمان : ,,ثم يتصدى النظر فى الكائنات ، وهى الأجسام المتولدة من الأمهات . فنقول : الأجسام المتولدة من الأمهات ، إما أن تكون نامية ، أو لم تكن ، فهى المعدنيات . وإن كانت نامية ، فامّا أن تكون لها قوة الحس والحركة ، أو لم تكن . فان لم تكن فهى النبات . وإن كانت فهى الحيوانات . وزعموا أن أول ما يستحيل إليه الأركان الأبخرة والعصارات ما ينجلب فى باطن الأرض من مياه الأمطار ، ويختلط بالأجزاء الأرضية ويغلظ ، وتنضجها الحرارة المستبطنة فى عمق الأرض ، فتصيّرها مادة للنبات والمعادن والحيوان . وأنها متصلة بعضها ببعض بترتيب ونظام بديع . تعالى صانعها عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا . فأول مراتب هذه الكائنات تراب ، وآخرها نفس ملكية طاهرة . فان المعادن متصلة أولها بالتراب أو الماء وآخرها بالنبات . والنبات متصل أوله المعادن وآخره بالحيوان . والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالانسان . والنفوس الانسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية . والله تعالى أعلم بالصواب . النظر الاول فى المعدنيات‘هى أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة فى الكم والكيف . . .،، (عجائب المخلوقات للقزوينى ، طبع مصر بهامش حياة الحيوان للدميرى ١٣١٩هـ ج ١ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢).

١١) لم يجد ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ) أيضا بأسا فى هذه الافكار فكررها وقال : ,,إعلم ، أرشدنا الله وإياكم ، أنا نشاهد العالم بما

فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلک ، ولا تنتهي غاياته . وابدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثماني . وأول عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعدا من الأرض إلى الماء ، ثم إلى الهواء ، ثم إلى النار ، متصلا بعضها ببعض . وكل واحد منها مستعد الى أن يستحيل إلى ما يليه صاعدا وهابطا ، ويستحيل بعض الأوقات، والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك . وهو ألطف من الكل على طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط . وبها يهتدي بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها وما بعد ذلک من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ، ثم انظر إلى عالم التكوين ، كيف ابتدأ من المعادن ، ثم النبات ، ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج : آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بزر له وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان ، مثل الحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ـ ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق الذي بعده . واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدريج التكوين إلى الانسان ، صاحب الفكر والرؤيه ، ترتفع إليه من عالم القردة ، الذي اجتمع فيه الكيس والادراک ، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل . وكان ذلك في أول أفق من الانسان بعده . وهذا غاية شهودنا (مقدمة ابن خلدون ، الفصل الخامس من الباب السادس).

١٢) ان كتالى زاده علاء الدين من محترمي علماء تركيا . ألف بالتركية ,,أخلاق علائى،، ، مطبوع في بولاق وعلى المخطوط منه في مكتبة رئيس الكتاب رقم ٩٩٣ نجد التصريح ,,للمولى على بن أمر الله المعروف بابن الخنائي (الحنائى ؟) المتوفى بأدرنه سنة ٩٧٩ ، وبحث في موضوعنا

أيضا فی ,,خاتمۀ مقدمه » ، وهی فی هذه المخطوطة علی الورقة ۳۳/ ب ـ ٣٦ / الف . لعلّی لا أحتاج إلی نقل ماكتب. فانه خلاصة تهذيب الاخلاق لابن مسكويه . ولكن يحاول أن يزيد فيه . كأنه قرأ كتاب النبات للدينوری ، فيقول : ,,حتی بعض ارباب فلاحتدن منقول درکه درخت خرما دن بعض وار در بعينه برخرمايه مايل اولوب اندن تخم واصل اولمينجه بارور اولمنمسی منحصر در وبو آثار عشق در کـه حيوانده شايع ومشتهر در».

تـــــرجمـــــة :

وقد نقل حتی من بعض الكبار من علم الفلاحه (والنبات) أن النخلة (الأنثی) تميل أحيانا إلـی نخـل ذكر ، فلولـم تلقّـح من ذلک النخـل (محبوبها) لا تثمر . وهذه آثار العشق التی هی توجد (عادة) بين الحيوان (لا بين النبات) ولا بأس به ، ولكن ليس كل مازاد.مثلا : ,,كذلک ناحية قطب جنوبی ده اولان افراد انسانی دخی كثرت حرارت دن مزاجلـری محترق اولمغله اعتدالدن دور او لمشلر».

تـــــرجمـــــة :

,,وكذلک سكّان ناحية القطب الجنوبی تحتـرق أمـزجتهم بشـدة الحرارة (التی توجد فی تلک الناحية) فيبتعدون من حدّ الاعتدال».

أراد خط الاستواء وكتب القطب الجنوبی . سامحه الله.

١٣) عبد القادر بيدل شاعر ايرانی معروف،توفی سنة ١١٣٣هـ ، ونقل من ديوانه إسماعيل حقی ازميرلی بيتا نثبته ههنا مع شكرنا للفاضل ازميرلی :

هيـــچ شكلـــی بی هيولـــی قابـــل صـــــورت نشد
آدمـــی هم پيش ازان آدم شود بوزينـــه بـــود

تـــــرجمـــــة :

بدون هيولـــی لم يكن أی شكل صالحـــا لصورة
والانســان ايضـا قبـــل أن يكون انسانـــا كان قـــــردا

(راجع اسماعيل حقى ازميرلى : اسلام متفكر لرى ايله غرب متفكرلرى آراسنده مقايسه ، ديانت ايشلرى باينلرى ٣١ / ٢ ، أنقره ١٩٥٢ م).

١٤) وأخيرا نذكر فى هذا الصدد معـرفتنامه لارضروملى ابراهيـم حقى ، المطبوع فى استانبول سنة ١٣٣٠هـ . وهذا الكتاب نوع من دائرة المعارف ، ومؤلفه من كبار العلماء ومحترمى أهـل الديـن توفـى سنة ١١٨٦هـ ـ فبحث طويلا من ص ٢٦ الى ص ٣٠ ، ويبتدى : ,,فصل ثانى ترتيب ظهور عقول ونفوس وافلاكى ، ومراتب وطبايع وتبديل اركانى ، ودلائل انقلاب نار وباد وآب وخاكى ، وتولد معادن ونبات وحيوان وانسانى، وبـونلـرك اراسنده متوسط اولانى ، ومبدأ ومعـاد وأرواحـى ، وكيفيـت دروانى ، ووجود اشباحى درت نوع ايله حكيمانه بيان ايدر،،.

تـــــــــرجمـــــــة :

الفصل الثانى فى بيان ترتيب ظهور العقول والنفوس والافلاك ، والمراتب والطبايع ، وتبديل الاركان ، ودلائـل انقلاب النار والهواء والماء والتراب ، وتولّد المعدنيات والنباتات والحيوانـات والانسـان ، ومـا هو المتوسط بين هؤلاء ، من المبدأ والمعاد ، والارواح ، وكيفية الدوران ، ووجود الاشباح فى أربعة أنواع ، وهذا البيان بالطريقة الحكيمة ،،

لولا خوف التطويل لنقلت جميع ما قال . وجملة القول أنه أيضا يداوم الاعتقاد بما قال السلف من حكماء المسلمين . ويستدل بالمرجان ، والنخل والقرد . كما استدل من قبله . ولا بأس بأن نشير إلى كبير شعراء الهند مير أكبر حسين (وتخلّصه أكبر) الذى أراد أن يتخلص الشباب من سيطرة الافرنج علماً وعملاً ، فوجد خير طريق فى التضحيك والاستهزاء، فقال :

منصـــــور نے كہا خـــــدا هوں ميں
ڈارون بـــــولا بوزينــــــه هوں ميں

هنسکر کهنے لگے میرے ایک دوست
فکر هر کس بقدر همت اوست

ترجمة :

قال المنصور الحلاج : أنا الا له (أنا الحق)
بينما قال داروين : أنا قرد
فضحک صديق لی وقال :
فكر كل واحد بقدر عزمه وهمته .

(٣)

يظهر أن أول من اعتنى بهذه المسائل فى الغرب هو بوفون من أهل فرنسا واسمه الكامل George Louis Lecrec Comte Buffon.

ألف كتابين Histoire Naturelle (التاريخ الطبيعى) و Epoques de la Nature (أدوار الطبيعة) أشار فى احتمال التطور والتدريج فى خلق الكائنات.

ثم تلاه فرنسى آخر لامارک Jean Bapiste ete de Monet Chevalier de Lamarck له كتابان: La Philosophie Zoologique (فلسفة الحياتيات ، ١٨٠٩) و L,Histoire Naturelle des Animaux non Vertebres (التاريخ الطبيعي للحيوانات بدون فقرات الظهر) ، ومن أجلهما يعتبر كمؤسس نظريتين : نظرية التناسل الطبيعى Generation Stpontanee ونظرية الاستحالة Transformisme تبناها داروين بعده.

وأخيرا چارلس داروين Charles Darwin (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢م) ونشر كتابه الشهير Origins of Species فى ,,أصل الانواع،، فى سنة ١٨٥٩ م و بنى آراءه على مشاهدات كثيرة و براهين علمية ، حتى صارت نظرية الاستحالة ,,نظرية داروينية،،.

ولا بأس بأن ننوه الى بعض حلقات سلسلة هذا البحث أن رسالة حى بن يقظان لابن الطفيل ترجمها إلى الانكليزية سائمن او كله Simon

Ockley ونشرها فى ١٧٠٨م وفيها نظرية التحول .ولابد أن وصل الكتاب الى معرفة بوفون .وحتى ترجمتها الالمانية التى نشرت فى ١٧٨٢م فى برلين . ورسائل اخوان الصفاء أيضا معروفة منذ أمد فى اوروبا وكانوا يستعملونها لتدريس اللغة العربية لسلاسة أسلوبها .

وفيما يتعلق بداروين ، نزيد أنه ورث علم الطب أبا عن جد . وبعد ما كمل دراساته الطبية أراد أن يصير قسيسا ، فدخل فى كلية الآلهيات فى جامعة كيمبرج من انكلترا. ونقرؤ فى حياته التى ألف هو بنفسه ، وفى مكتوباته المنشورة أنه كان فى اتصال وثيق بالاستاذ ساموئيل لى (1852 - Samuel Lee (1783 استاذ اللغة العربية فى ذلك الوقت بجامعة كيمبرج . وكان نابغة . فيظهر أنه تعلم اللغة العربية (لتاريخ الاديان) ولذلك درس إما رسائل إخوان الصفا أو الفوز الاصغر أو تهذيب الاخلاق ، وهكذا تعرف بأفكار المسلمين فى أصل الأنواع و تاريخ خلق الكائنات . وبمعرفته علم الطب والحياتيات اشتغل بالبحوث فى هذا الموضوع . وتقول حياته أنه سافر إلى جزائر المرجان (شرقى استراليا) . وتقول أيضا أنه كان يؤمن بالله ولو لم يؤمن بالتوراة و محتواها فى تاريخ الخلق ، وأنه لم يصر أبدا ملحدا . وحقيقةً ليس أدنى فرق فى قدرة الله الخالق لو خلق الكائنات ,,كلمح بالبصر،، أو فى ستة ,,أيام،، من أيام الله .

وفى الختام لا بأس بأن نذكر أن الاستاذ ديتريچى F. Dietrici كان نشر كتابا بالالمانية فى ١٨٧٨م , Der Darwinismusim X und XIV Jahrhundert, Leipzig,1878 (الداروينية فى القرن العاشر والرابع عشر للميلاد) كأنه أراد به رسائل اخوان الصفاء وابن خلدون فانه ذيل الكتاب بترجمة أبواب من رسائل اخوان الصفاء (ص ٢١٣ وما بعدها).

و العلم يتقدم ويتطور . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وقل رب زدنى علما . فالقدماء من المسلمين ابتكروا وظنوا ما ظنوا . وزاد العلم الجديد معلومات جديدة بالتجارب والمشاهدات ولكل فضل والكمال لله .